فجائع اليائسين

(تابع ما قبله)

— كنت وعدتني واخلفت وعدك وهيهات ان تثبت عليه

— اما قنعت وعذرتيني ؟

واخذت تفكر مترددة ان تكلفه بالطلاق المشؤوم الذي لا تود ان تسمع ذكره وهي تخاف ان لا يقبل فتخجل او يطلقها حباً بها وهو لا يريد ثم قالت بستجيل ان اكون زوجة ثانية واجتمع باعدى عدواتي او اتصور ان لي عدوّة في حياتي ولذلك ارجوك ان تعذرني اذا ابيت ان اجيبك الى سؤلك

— فان كان المانع لقبولك وجود شهيرة فهي طالقة ثلاثًا فكوني على ثقة من ان اجتماعي بها مرة اخرى ضرب من المحال

— ما كان يودي ان تطلقها ولكنه سبق منك فاعدك بالقبول وقد عفوت عنك وسامحتك بما بدر منك ونسيت كل خطيئاتك

— اشكر لطفك واحسانك ولم يبق امامنا من العقبات سوى قبول ابيك او اقناعه

— سأجد اليه وسيلة تضطره الى اجابة الطلب . وهنا تعانقا وتفارقا على امل اللقاء

واخذ سعيد يفكر بالسعادة ويؤمل بقربها وهيهات ! هيهات ! لان السعادة الحقيقية مفقودة وقد يظن المرء انه سعيد بالنسبة للشقي او يتظاهر بالسعادة :

(تعب كلها الحياة فما اعجب الا من راغب في ازدياد) ولكن الامانيّ تجعل الانسان يعيش في خيال السعادة فهذا سعيد ولد بالامل وعاش بالامل وسيعيش بالامل وصار يسبح في بحور الخيال . اخذ يؤثر البقاء في فراشه على الذهاب الى احسن سمر لينكر فيما استصير اليه حاله . فبينما هو يفكر في خيالاته اتاهُ خبر وفاة ابنه مع احد اقارب زوجته فطلب هذا منه ان يرسل بجهزه للدفن ولم يكن سعيد رأى ابنه فحدثته نفسه ان يرى صورته ولو كان ميتًا ليلتذ بالبكاء عليه ويقول انه كان لي ابن فارسل وطلب ذلك فوعدهُ الرسول وذهب فاخبر شهيرة وامها بما اراد فغضبتا ونادتا بالويل والثبور قائلتين ان هذا لا سبيل اليه واسرعتا بتجهيز الطفل وحمل الى الجبانة فاتى سعيد فوقف قرب الباب المشؤوم وارسل خادمه ليطرق الباب فصاحت النساء وشتمنه ولعنت الولد واباه ودعتا الله ان يلحق الاب بالابن فادرك من ذلك الصباح ان الميت ارسل الى الجبانة وسأل الجيران فاخبروه انه أُخرج وصلي عليه ثم اخذوه ليواروه التراب فذهب الى المدفن فلم يجد سوى حفرة الميت راجعين فسألهم عنه فقالوا انهُ

دفن واجره على الله فاخذهُ البكاء واسف اسفاً عظيماً . وبينا هو يكفكف عبراته اتاهُ طغمة الشحاذين فاحاطوا بهِ فمنهم من كان يقول « اسمعونا الفاتحة الى روح الميت » ومنهم من تسرع في تلاوة حزب من القرآن ومنهم من كان يقول « اعطنا من مال الله وتصدق عن روح ابنك » فما وسعه الا ان شتمهم وكدرهم بموارد ولكنهم ثبتوا واستعملوا القحة سلاحهم اذ اعتات نفوسهم السب والشتم واعياهُ دمه رياءً وامره بان يصرفه قطعاً صغيرة ويوزعه عليهم على السوية تخلصاً من سلاطتهم والحافهم فتركوه ولحقوا الخادم وكادوا يضربونهُ فرمى الريال وفرَّ امامهم يعدو مسرعاً فانقضوا جميعهم على الريال وانشبوا يترامون بعضهم فوق بعض فجرح احدهم وراح ينتقم من رجل بريء فقابله وانتصر له آخر وعلا الصياح فاتى الشرطي واخذ يضربهم بسوطهِ فمرّ بعضهم وقبض على الآخر فتناقهم الى المخفر واخذ الخادم فلم يتركهم حتى اخذ منهم ما يرضي خاطره .

طغمة الشحاذين في كل بلدة ضروب واشكال واكثرهم عدداً وارقامهم في الشحاذة والتفنن في الالحاح والالحاف « كلاليب » دمشق فلهم هناك رئيس يحكم على اعوانهِ من كل حي من احياء المدينة ومن وظيفة الاعوان اخبار الرئيس في اسرع وقت بموت ميت وتوزيع صدقة وهذا يعلم جميعهم فما هو الا ان يصطفوا حول جدار بيت الميت قبل المعزين ينتظرون خروج النعش ليمشوا حولهُ مهللين مكبرين بانغام خاصة بهم فيمدون الكلام ويغمغمون باشداقهم ويخرجون السنتهم . وللرئيس اجرة الاخبار يتقاضاها من كل فرد منهم حتى اذا دفن الميت يهجمون على اهله ويطلبون منهم اجرة التهليل والتكبير كأنهم دعوهم وقاولوهم على اجرة معلومة وقد يسمعونهم الفاظاً فظة ويحملونهم منة كأن يقولون لا يليق بمن ورث مبالغ من المال ان لا يتصدق عن روح مورثه كأنهم شركاء الوارث في ميراثهِ فيزيدونهُ غمّاً الى غمه

ولما رجع سعيد من الجبانة وفكر بانهُ خلص من اجرة الحضانة وحيل بينهُ وبين زوجه قوي امله وشكر ربه على ما ازال عنهُ من الغمة وذهب الى زيارة الباشا على حسب عادتهِ واخبرهُ بما وقع لهُ فاسف هذا لهُ ورقَّ لحالهِ وشعر بلزوم حمايته لأنهُ هو ولي نعمته ولامهُ على التأهل بهذه الزوجة ثم قال لهُ : ينبغي لك ان تفتش على زوجة توافقك

— لا يخفى على سعادة الباشا ان رفيقي اخو زوجتي هو الذي غشني بأختهِ وكان سيدي الباشا حينئذٍ متغيباً عن بيروت فلو كان هنا ما تزوجت الاَّ بعد استشارتهِ والآن اسعى في سبيل الزواج ولكني عزمت على ترك هذه المسألة لرأي مولاي

— سأفكر لك بزوجة حسنة وآمر الخانم لتبحث لك عن امرأة تليق بك .

فشكر فضله وقبل يده وبعد ان مكث هنيهة في حضرته استأذن بالانصراف الى داره

٧

ظلت جميلة وحيدة في المنزل واخذت تفكر وتقول الى متى وانا في حرمان من الزواج ؟ لست برادبة ولا يحظر عليّ التأهل وما يخيل لي اني اجد احسن واوفق من سعيد وحبي له شديد ولا اود ان اقترن بغيره فمن يطيق ان يتنحى من اتخاذه رفيقاً لي ؟ اذا كان اعتقاد ابي بالمناصب والمواقع وهو لا يعلم انه لا تمييز بين البشر بالفضائل ومكارم الاخلاق فارادته لا تمنعني عن ذلك ولست لامره طائعة على ان الشرع الشريف منحني حرية الزواج بعد البلوغ وها أنا ذا بلغت سن الرشد وطاعة الاب الذي ينكر الحقائق بضعف عقله وقلة علمه غير واجبة عندي اذا كان اولاده اعلم منه بمصالحهم واعقل منه واشل في تدبير شؤونهم وصيانتهم وانا اعلم من ابي ولا شك بمن يصلح لي ولكن الادب والكمال يضطرانه الى ان يرضى بزواجي ومن الحزم والعقل ان اسوقه الى ما اتمناه ولكن كيف اصل الى ذلك ؟ واخذت تفكر في وسيلة تحمل اباها على ان يبدي رأيه بزواجها من سعيد فجلست يوماً مع امها وذكرت سعيداً مادحة اياه من امرأته وصارت تمدح مكارم اخلاقه وتعظم مستقبله بعين أمها وتثني له زوجة ترتاح اليها نفسه وتطيب وكانت امها تصدق ما تقوله حتى حسبتها فقالت : اذا كان يريد الزواج فانا سأسعى له .

فتجاسرت حينئذٍ جميلة وقالت لو كان لي فكر بالزواج لما تزوجت سواه . وقصدت بهذه العبارة استطلاع طلع رأي أمها فقالت هذه نعم وانا أوافقك على افكارك ولكني ما زلت استغرب امتناعك عن الزواج وقد فاتك اوانه وانقطعت الرغبات فيك فالى م وانت على تصوراتك الغريبة ؟

— اتدرين متى ارضى بالزواج ؟ متى وفقت لكفوء يقوم بضروراتي ويعرف قدري ولا يتزوجني الا من اجل فضيلتي وانت تعلمين ان الذين طلبوني حتى الآن لم يقصدوا مني الا الانتساب لأبي ولا يخفى عليك ان الذي يطلبني من اجل ابي عند ما يتوفى والدي يهملني ولعله يطلقني او يتزوج مرة أخرى ويتركني حزينة ابد الدهر .

— ما زلت تلقين هذه المشكلات فمن اين لنا ان نأتيك بمن يوافقك على ما تنزع اليه نفسك ؟

— قد يوجد ولكنه لا يجسر احد على طلبي لعلمه اني ارد طلبه وهذا يصعب عليه ان يرد خائباً لعزة نفسه وشرف طبعه وكرم اخلاقه .

— هل تعلمين فتى بهذه الاخلاق ؟

— وانت تعلمينه

— من هو ؟

— سعيد

— لا اشك بمكارم اخلاقه وعزة نفسه ولكنه غير كفوء لك من حيث الشرف لان ابالك باشا وابوه كان جندياً وعائلته غير معروفة بين الناس وانجب العجاب رضاك به زوجاً

— لا محل للعجب هنا لان مكارم الاخلاق تقوم مقام شرف عائلته والشاعر يقول

لا تسأل اصلي وفصلي ابدا انما اصل الفتى ما قد حصل

واذا كان فقر عائلته يمنعك عن القبول فليس الفقر عيباً للمرء وشيناً ولا الغنى شرفاً للانسان. وخلاصة الامر كوني على يقين من اني اذا قصدت الزواج لا اتزوج غيره لانه هو وفق مرغوبي

— فهمت الآن ان لهُ في قلبك مكاناً والحب اراك اياهُ موافقاً على اني لا اطيق ان اذمه لاني لا اجد فيه من العيوب سوى فقره واني ناظر منزلة أسرته .

— قلت لك ان الفقر ليس بعيب واما انحطاط مكانته فمكارم اخلاقه تشفع بها ومع هذا كله فانهُ سيتولى منصباً عالياً يبلغ به مبالغ الاشراف وينال راتباً عظيماً يصبره في زمرة المنعمين المترفين .

— فان كنت ترغبين فيه زوجاً لك فصرحي بكلامك ولا حاجة الى براهينك .

سكوت واطراق في الارض

— فلو رضيت بهِ لكِ وشايعتكِ على فكركِ فهل تتصورين ان الباشا يرضى بذلك وهو غرس نعمتهِ وزيدي على ذلك ان لهُ زوجة اخرى

— انت قادرة على اقناع الباشا وارضائهِ واما زوجة سعيد فليس فيها كبير امر لاني على ثقة من انه يطلقها من اجل ابي

— من اين لي ان اقنع الباشا ليرضى بذلك ؟

— انت تعلمين كيف تفعلين

— دعيني الآن ريثما اجد فرصة مناسبة استرق فكر ابيك واعلم ان كان يمكن ذلك ام لا

***

وبعد ما خرج سعيد من منزل الباشا دخل هذا الى دائرة الحريم واخذ يظهر اسفه ويقول لا حول ولا قوة الا بالله . فسألته الخانم عن السبب فاخبرها بما جرى لسعيد وابنهِ فبكت لحاله واسفت عليه ثم قال لها : اني تعهدت لهُ بان أزوجهُ وان ارسلك للتمشي له على امرأة توافقهُ . فتجاسرت الخانم عندئذٍ وقالت : ان كنت تود ان تحميه وتريحهُ زوجهُ بابنتك فهو غرس نعمتك وقد نشأ بفضلك وفي ظلك وما هو في الحقيقة الا ابنك ولعلنا نتخذهُ ولداً فيكون لنا عوناً وسنداً

— لا انكر مزاياهُ واحبهُ كولدي ومنزلته عندي منزلة جميلة ولكن امتناع جميلة وكلام الناس يحولان دون ذلك على اني لست ممن يعدون الفقر انحطاطاً ومزرياً بالشرف ولا استنكف عن مصاهرته لان مكاني وشرفي يكفيانه

— كلام الناس ليس مما يحفل به العاقل في مثل هذا المقام لان العاقل البصير من لا يبالي بكلام لا طائل تحتهُ وقد يكفيهِ رضا الاخيار والاخيار لا يرون الفقر وجهل مكانة العائلة منافياً لمكارم الاخلاق وهم يرجحون الفضائل على كل مزية والمدح ما كان من الاخيار والذم ما كان منهم ولعل جميلة ترضى به لان امتناعها ناشئ عن عدم وجود قرين يوافقها على انها تمدح سعيداً في كل حين وتقرّ لهُ بالفضل

— وانا لا ابالي بكلام العامة ولا بكلام من انحطت افكارهم ولكن اذا رضيت انا بذلك فهل جميلة ترضى به

— فلنسألها — اذهبي واسأليها

***

دخلت على جميلة واخبرتها بما جرى بينها وبين ابيها ففرحت وقالت لا مهما يجب علينا ان نحتاط لئلا يفهم فيغضب وانت تعلمين حاله اذا اخذهُ الغضب ..

— اصبت بما فكرت . فماذا نعمل ؟

— اذهبي وقولي لهُ ان جميلة لا تخالف امرك ولكنها تلتمس منك مهلة تفكر في هذه المسألة الحيوية التي تحتاج الى امعان وزيادة استبصار

— هاءنذا ذاهبة وذهبت . فدخلت على الباشا واخذت تمدح جميلة على تروّيها وعقلها وكمالها ثم قالت : انها لا تخالف ارادتك وهي طوع امرك فيما تقضيه عليها ولكنها تلتمس منك مهلة يومين للتفكر في امرها ثم تخبرنا سلباً او ايجاباً

— اخاف ان تصر على عنادها وانا اود ان ازوّجها في حياتي لتفرح بها فقولي لها اني امهلتها يومين فذهبت وخبرتها ففرحت بنيل المراد وبشرت سعيداً بواسطة خادمتها ففرح هذا وظن ان السعادة العظمى لاحظته عيونها واخذ يفسرها و يقلبها على وجوه آملاً ان تكون تلك السعادة مكافأة لما عاناهُ من قبل وصار يسبح في ظلمات الخيال وصرت لا تراه الاّ ضاحكاً مسروراً يقول تارة سأرتاح من اجرة الدار واسكن منزلاً عالياً واركب عربة خاصة وارتقي بمعونة الباشا واخلص من همّ صرف الراتب على تدبير المنزل واقتصد راتبي واوفي ديني فاكون حينئذٍ سعيداً ثم اخذ يفكر فيما يفعل بالذي سيتراكم من مشاهراته فقرر ان يشتري اوراق يانصيب المصرف العقاري وتحويلات سكة حديد الروملي واصبح في

امان من كسب اعظم المبالغ ورأى ان يشتري خيلاً ليقيم على تربيتها فيبيعها بما تيسر من الليرات ويشتري دكاناً ثم مخزناً ثم ضيعة فيصير من الاغنياء ويستغني عن الاستخدام وعن معاناة شرور العالم ويكتفي بان يصير عضواً في احد المجالس وطوراً يقول ان هذه السعادة ليست شيئاً في الحقيقة بجانب اقتراني بجميلة لان السعادة العظمى هي اقتران زوجة بزوج يوافقها في الخلق والخلق ويقوم بما يفرض عليه لتقوم هي بما يفرض عليها من اعمال الحياة وبمثل هذه الخيالات كانت تمر ايامه ولياليه فصار لا يفكر الاَّ في السعادة وينسى كل ما عاناه من قبل بل وتناسى ما وقع لهُ شأن الانسان يتذكر السعادة في الشقاء وينسى الشقاء في الاقبال وكان يرقب وصول ذلك اليوم السعيد الذي سيعقد به له على حبيبته جميلة .

ولما مضى اليومان اجابت بالقبول وفوّضت الامر لابيها ففرح هذا وارسل يستدعي سعيداً فأتى هذا مسرعاً لانهُ كان عالماً بالامر فقطع الطرق وما شعر الاَّ وهو امام المنزل وكان من عادته ان يأتي ماشياً على رجليه فأتى هذه المرة في العربة واستأذن عليه فدخل الى ردهة الباشا فقبل يده وجلس امامه فقال له الباشا يابني انت تعلم اني ربيتك كولد لي واحببتك بمثابة ابنتي جميلة والآن اريد ان اجعلك ابناً حقيقياً وافرح بك فهلا تطيع امري ؟

— سيدي العبد غرس نعمائك وان كنت عشت او اصبح لي شأن فذلك بفضلك واحسانك فمقامك اعظم من مقام ابي عندي ان كان ابي الذي توفي والدي بالجسم فانت ابي بالفكر ابي بالعلم ابي بالادب ابي بالسعادة ابي بكل شيء قال الله تعالى (ولئن شكرتم لازيدنكم) والعبد يقرّ ويعترف بانهُ ليس في وسعهِ شكر النعم الجسام التي اولانيها مولاي فليس لي الاَّ ان اطيعهُ في كل ما يصدر من سعادتك فمرْ بما تريد وانا عبدك المطيع .

— بارك الله بكرم اخلاقك ووفقك وجعلك من اسعد الناس واعلم يابني اني على غاية من الاسف لما عانيته من العذاب في زواجك وانا ربيتك حتى بلغت ما بلغت مما افرّ عيني به كلما نظرت اليك وسمعت عنك فاحب ان اصل ما بدأتهُ معك لترحم عليَّ بعد موتي وتكون ولياً على عائلتي التي ستصبح بعدي بدون رجل يتولى شؤونها وهذا لا يتم الاَّ بزواجك من ابنتي جميلة فاعرضها عليك اذا لم يكن لك مانع

— لا مانع لي يمنعني عن نيل النعم فالعبد رهين الامر في كل حين فمرْ بما تريد فلا تجدني الاَّ عبداً مطيعاً

— حفظك الله وسنعقد لك عليها هذا الاسبوع ان شاء الله السميع العليم

— اطال الله عمر مولاي

ثم شكر فضله وقبل يده وذهب ودخل الباشا واطلع امرأته على ما دار بينه وبين سعيد

وهذه اخبرته جميلة فسرت وايقنت بنيل المراد . وبعد اربعة ايام جاء عمال الولاية والد سراء والوجهاء والعلماء الى دار الباشا المشار اليه ووكل سعيد احد اصحاب الباشا فعقد العقد وعين العرس بعد شهر من تاريخ العقد .

***

غدا سعيد يرقب يوم العرس بفروغ صبر ولما آن الوقت استعد للسرور فدعا رفقاءه ليشاركوه بفرحه وحبوره وما علم بما اخفاه له الدهر الخؤون وقد نامت عينه عنه الى حين فادخله الباشا تلك الليلة على جميلة واوصاها بعضها ببعض ودعا لهما بالتوفيق .

فلما دخل بها وخلت به اخذت تعاتبه قائلة : لو كنت خالياً من اوهامك الغريبة وحفظت العهد لنلت ما نلته الآن وما كنت وقعت فيما وقعت ولكن خلق الانسان عجولاً على اني ما زلت اعجب منكم معشر الشرقيين شهما كبر عقلكم وارتقى فكركم ودرستم العلوم والفنون لا تزالون مقيدين بالاوهام الباطلة ولقد ترى الواحد منكم ينتقد الخرافات ويعيب اوهام غيره ويرتكبها غير مختار وذلك بما تعلمه من امه الجاهلة في طفوليته يرضع لبان الخرافات مع لبن أمه ولا يخطر ببالك أيها الحبيب اني اقصد بانتقادي هذا مدح الجنس اللطيف فانا عالمة ان وجود فتاة مرتقية الفكر سليمة العقل خالصة من الاوهام والخرافات في بلادنا قد اصبح ضرباً من المحال وذلك ان المدارس التي أسست لتثقيف عقول البنات لا تعلمهن الا مبادىء العلوم والفنون ضعيفة ضئيلة لا تكاد تسد الحاجة وقد لا توجد مهذبات مدربات في المدارس يهذبن الفتيات ويدربنهن على الفضائل وحب الكمال الا ما ندر ومما يؤسفني ان ارى ان اهم درس يدرس في المدارس تعليم امة من اللغات لاننا لا نزال نعد التكلم او العلم باحدى اللغات دليلاً على الفضل والكمال واغرب من هذا كله ما نراه من انهماك المعلمات في تعليم البنات التفصيل على الزي « المودة » وزركشة القساطين فالمعلمات يغرسن حب الازياء في عقول النساء وهن غير مباليات بتثقيف عقول الفتيات ولذلك نرى الفتاة تخرج من المدرسة على آخر طرز واحسن زي من الزينة والتبرج وقد تتكلم بلغة من اللغات فتكون حينئذ بلغت منتهى العلوم والآداب بزعمها وزعم اهلها . ولا يخفى عليك ان التي دأبها التزين واللباس وتجديد الازياء لا تجد في وقتها متسعاً لتعليم ابنها وتهذيبه ولذلك اصبحت المرأة علتنا الاجتماعية ومقياسنا متى ارتقت ارتقينا واذا هوت هوينا معها فلا نقوم لنا قائمة الا بتهذيب المرأة التي اذا هزت بيدها اليمنى سرير ابنها هزت باليسرى الدنيا بأسرها والرجل العظيم لا يأتي الا من عظيمة سبقته وهي أمه ولله در من قال (الطفل صحيفة بيضاء وامه تنقشها كما تشاء) ولعلنا نرى يوماً يكثر به نصراء المرأة الضعيفة فيعلمون حقائق الامور

ويعنون بتهذيب بناتهم ويخدمون بذلك بني نوعهم . واما نحن فاننا نربي ابناءنا كما نشاء ونجعلهم مثال الكمال ونثقف عقولهم ونعدهم للهيئة الاجتماعية خدمة يقومون بواجباتهم نحو بني الانسان والحيوان .

= لقد اعجبني خطابك البديع الذي اعرب عما في ضميري ولكن مالي اراك مرتدية على آخر زي ؟ اما كان اللائق بك ان تبتدئي بنفسك وتهجري الازياء وتنزعي عنك هذه المجوهرات الثقيلة التي استغرب كيف تطيقين حملها على انه كان يكفيك رداء جميل قليل الزركشة في شكل بسيط حسن يقبله الذوق السليم .

= كان يجب عليَّ ان ابتدأ بنفسي ولكني خفت من ان توجه سهام اللوم نحوي واصير عرضة لافواه الناس وربما جلب ذلك على والدي كلام المتكلمين فحطوا من قدره

= اليس من العقل ان لا تبالي بكلام الجاهلات اللواتي لا يميزن بين الحسن والقبيح وانت لست من اللواتي يتزين ليلة العرس ليغرن ازواجهن حتى يتملكن قلوبهم فانت ملكت فؤادي منذ كنت طفلاً ومكانك لا يزيده لباسك وتبرجك شيئاً في عيني ولا تنقصه بساطة ردائك ويا ليتك كنت جعلت البساطة زيًا بين الناس لانه ينظر اليك والنساء يقلدنك ولكن كما قلت ان الانسان مهما ارتقى لا يزال مقيدًا بقيود الاوهام . واما عدم تصبري وخيانتي لعهدك فهذا امر مقدر والمقدر محتوم والاشياء مرهونة باوقاتها ولا يستطيع بشرٌ ان يفر من القدر ولذلك لا ارى محلاً للوم

= ان هذه العبارات عبارات العجزة الذين اذا اخطأوا واساءوا رجعوا بخطأهم على القدر وشكوا من الدهر واذا احسنوا منوا وافتخروا .

= دعينا من الفلسفة والكلام فلنطرب بالحان المغنيات ونترنم بآلات الطرب لان هذه الساعة ساعة طرب وهي الليلة الوحيدة التي لا تتكرر في حياتنا والايام بيننا سنتجاذب اطراف الحديث ونبتدع بعضنا بعضاً من الحكم والحقائق ما نشاء

وثاني يوم العرس عهد الباشا الى سعيد بان يتصرف بمنزله كما يشاء ووكل اليه اشغاله الخاصة وصار يتصرف بالصدق والاستقامة وانفصد كثيرًا من النفقات وغدا هو المرجع ومن كان له حاجة عند الباشا كان يأتيه فيلتمسها منه وهو يحسن معاملة الناس حتى استجلب قلوبهم وكان يساعد المغدور ويسعى في استحصال حق المظلوم من الظالم . وتكلم مع الباشا على ان يسعى في ترقية وظيفته فوعده بذلك ففرح وقوي امله بالسعادة وصار يوفر رواتبه ويوفي ديونه حتى اشترى سندات البنك العقاري وتحويلات سكة حديد الروم ايلي واشترى حصانين لبر بيهما واخذ خياله يتسع وآماله تكبر فنسي شقاءه فهو يأكل ويشرب وينام ولا يدفع بارة وينتزه بعربة الباشا ولا يصرف الا القليل فتخلص من الطلب ومن الدين